وفيها ايضا قوله شعر ∴ حط الرحال بمرية ∴ وارتد لنفسك بحرة في قلعة كسلاح ودوحة مثل الحمى
تحصنها لك امن ∴ وحسنها لك زجر كل البلاد سواها ∴ كمرة وهي مخة ∴ وبمالقة التين الذي
يضرب المثل بحسنه ويجلب حتى للهند والصين وقيل انه ليس في الدنيا مثله وفيه يقول ابو الحجاج يوسف
ابن الشيخ البلوي المالقي حسبما انشد عنه واحد منهم ابن سعيد ∴ مالقة حييت يا تينها ∴ الفلك من اجلك يأتينها
نهى طبيبي عنه في علتي ∴ ما لطبيبي عن حياتي نهى ∴ وذيل عليه الامام الخطيب ابو محمد عبد الوهاب المنشي بقوله
وحمص لا تنس لها تينها ∴ واذكر مع التين زياتينها ∴ وفي بعض النسخ ولا تنس تين اشبيلية ∴ واذكر مع التين زياتينها
وهو نحو الاول لان حمص هي اشبيلية لنزول اهل حمص من المشرق بها حسبما سنذكره ونسب ابن جزي في ترتيبه
رحلة ابن بطوطة البيتين الاولين للخطيب ابي محمد عبد الوهاب المالقي والتذييل لقاضي الجماعة ابي عبد الله بن
عبد الملك فالله اعلم قال ابن بطوطة وبمالقة يصنع الفخار المذهب العجيب ويجلب منها الى اقاصي البلاد
ومسجدها كبير الساحة شهير البركة وصحنه لا نظير له في الحسن وفيه اشجار النارنج البديعة انتهى وقال قبله ان
مالقة احدى قواعد الاندلس وبلادها الحسان جامعة بين مرافق البر والبحر كثيرة الخيرات والفواكه رايت
العنب يباع في اسواقها بحساب ثمانية ارطال بدرهم صغير ورمانها المرسي الياقوتي لا نظير له في الدنيا واما
التين واللوز فيجلبان منها ومن احوازها الى بلاد المشرق والمغرب انتهى وبكورة اشبونة المتصلة بشنترين معدن
التبر وفيها عسل يجعل في كيس كتان فلا يكون له رطوبة كانه سكر ويوجد في ريفها العنبر الذي لا يشبهه الا الشحري
ومن اشهر مدن الاندلس مدينة قرطبة اعادها الله للاسلام وبها الجامع المشهور والقنطرة المعروفة — قرطبة
بالجسر وقد ذكر ابن حيان انه بني على امر عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ونصه وقام فيها بامره على النهر
الاعظم بدار مملكتها قرطبة الجسر الاكبر الذي ما يعرف في الدنيا مثله انتهى وفيها يقول بعض علماء الاندلس
باربع فاقت الامصار قرطبة ∴ منهن قنطرة الوادي وجامعها ∴ هاتان ثنتان والزهراء ثالثة ∴ والعلم اعظم شيء وهو رابعها
قال الحجاري في المسهب كانت قرطبة في الدولة المروانية قبة الاسلام ومجتمع اعلام الانام بها استقر سرير
الخلافة المروانية وفيها تمحضت خلاصة القبائل المعدية واليمانية واليها كانت الرحلة في الرواية اذ كانت
مركز الكرماء ومعدن العلماء وهي من الاندلس بمنزلة الراس من الجسد ونهرها من احسن الانهار مكتنف بديباج
المروج مطرز بالازهار تصدح في جنباته الاطيار وتنعر النواعير ويبسم النوار وقرطاها الزاهرة والزهراء
حاضرتا الملك وافقا النعماء والسراء وان كان قد اخنى عليهما الزمان وغير بهجة اوجههما الحسان فتلك عادته
وسل الخورنق والسدير وغمدان وقد اعذر بانذاره اذ لم يزل ينادي بصرفه لا امان لا امان وقد قال الشاعر
وما زلت اسمع ان الملوك ∴ تبني على قدر اخطارها ∴ وقال السلطان يعقوب المنصور بن السلطان يوسف
ابن السلطان عبد المومن بن علي لاحد رؤساء اجناده ما تقول في قرطبة فخاطبه على ما تقتضيه كلام عامة
الاندلس بقوله جوفها شمام وغربيها قمام وقبلتها مدام والجنة هي والسلام يعني بالشمام جبال الورد
ويعني بالقمام ما يوكل اشارة الى حرث الكتانية ويعني بالمدام النهر ولما قال والده السلطان يوسف بن عبد
المومن لابي عمران موسى بن سعيد العنسي ما عندك في قرطبة قال له ما كان لي ان اتكلم حتى اسمع مذهب امير
المومنين فيها فقال السلطان ان ملوك بني امية حين اتخذوها حضرة مملكتهم لعلى بصيرة الديار المنفسحة
الكثيرة والشوارع المتسعة والمباني الفخمة المشيدة والنهر الجاري والهواء المعتدل والخارج الناضر
والحرث العظيم والشعري الكافية والتوسط بين شرق الاندلس وغربها قال فقلت ما ابقى لي امير المومنين
ما اقول قال ابن سعيد ولاهلها رياسة ووقار لا تزال سمة العلم والملك متوارثة فيهم الا ان عامتها
اكثر الناس فضولا واشدهم تشغبا ويضرب بهم المثل ما بين اهل الاندلس في القيام على الملوك والتشنيع على الولاة
وقلة الرضى باموره حتى ان السيد ابا يحيى اخا السلطان يعقوب المنصور قيل له لما انفصل عن ولايتها كيف
وجدت اهل قرطبة فقال مثل الجمل ان خففت عنه الحمل صاح وان اثقلته صاح ما ندري اين رضاهم فنقصده ولا اين
سخطهم فنجتنبه وما سلط الله عليهم حجاج الفتنة حتى كان عاملها شر من عامة العراق وان العزل عنها لما
قاسيت من اهلها عندي ولاية واني وان كلفت العودة اليها لقائل لا يلدغ المومن من جحر مرتين انتهى وقال
ابو الفضل التيفاشي جرت مناظرة بين يدي ملك المغرب المنصور يعقوب بين الفقيه ابي الوليد بن رشد
والرئيس ابي بكر بن زهر فقال ابن رشد لابن زهر في تفضيل قرطبة ما ادري ما تقول غير انه اذا مات عالم باشبيلية
فاريد بيع كتبه حملت الى قرطبة حتى تباع فيها وان مات مطرب بقرطبة فاريد بيع آلاته حملت الى اشبيلية قال
وقرطبة اكثر بلاد الله كتبا انتهى وحكى الامام ابن بشكوال عن الشيخ ابي بكر بن سعادة انه دخل مدينة طليطلة
مع اخيه على الشيخ الاستاذ ابي بكر المخزومي قال فسالنا من اين فقلنا من قرطبة فقال متى عهدكما بها فقلنا الآن
وصلنا منها فقال اقربا الي انشم نسيم قرطبة فقربنا منه فشم راسي وقبله وقال لي اكتب في شعر

اقرطبة الغراء هل لي اوبة ∴ اليك وهل يدنو لنا ذلك العهد ∴
وقعقع في ساحات دوحاتك الرعد ∴ سقى الجانب الغربي منك غمامة ∴
لياليك اسحار وارضك روضة ∴ وتربك في استنشاقها عنبر ورد ∴

وكتب الرئيس الكاتب ابو بكر بن القبطرنة للعالم ابي الحسين بن سراج بقوله شعر

يا سيدي وابي هوى وجلالة ∴ ورسول ودي ان طلبت رسولا ∴
عرج بقرطبة اذا بلغتها ∴ بابي الحسين وناده تطويلا ∴
واذا سعدت بنظرة من وجهه ∴ اهد السلام لكفه تقبيلا ∴
واذكر له شوقي وشكري مجملا ∴ ولو استطعت شرحته تفصيلا ∴
جرت على زهر الرياض ذيولها ∴ بتحية تهدي اليه كانما ∴

وفي باب اليهود بقرطبة يقول ابو عامر بن شهيد شعر

لقد

لقد اطلعوا عند باب اليهود ∴ بدرا ابى الحسن ان يكسفا ∴ تراه اليهود على بابها ∴ اميرا فتحسبه يوسفا
واستقبحوا قولهم باب اليهود فقالوا باب الهدى وسنذكر قرطبة والزهراء والزاهرة ومسجدها في الباب المنفرد
بها ان شاء الله تعالى وكذلك القنطرة ومن اعظم مدن الاندلس اشبيلية قال الشقندي من محاسنها — اشبيلية
اعتدال الهواء وحسن المباني ونهرها الاعظم الذي يصعد المد فيه اثنين وسبعين ميلا ثم يحسر وفيه يقول ابن سفر
شق النسيم عليه جيب قميصه ∴ فانساب من شطيه يطلب ثاره ∴ فتضاحكت ورق الحمام بدوحها ∴ هزءا فضم من الحياء ازاره
وقيل لاحد من راى مصر والشام ايهما رايت احسن اهذان ام اشبيلية فقال بعد تفضيل اشبيلية شرفها غابة بلا
اسد ونهرها نيل بلا تمساح انتهى ويقال ان الذي بنى اشبيلية اسمه توليس وانه اول من سمي قيصر وانه لما دخل
الاندلس اعجب بساحاتها وطيب ارضها وجبلها المعروف بالشرف فردم على النهر الاعظم مكانا واقام فيه المدينة
واحدق عليها باسوار من صخر صلد وبنى في وسط المدينة قصبتين بديعتين الشان تعرفان بالاخوين وجعلها ام قواعد
الاندلس واشتق لها اسما من رومية ومن اسمه فسماها رومية توليس انتهى وقد تقدم شيء من هذا وكان الاولون
من ملوك الاعاجم يتداولون بسكناهم اربعة من بلاد الاندلس اشبيلية وقرطبة وقرمونة وطليطلة ويقسمون
ازمانهم على الكينونة بها واما شرف اشبيلية فهو شريف البقعة كريم التربة دائم الخضرة فرسخ في فرسخ طولا
وعرضا لا تكاد تشمس فيه بقعة لالتفاف زيتونه واعلم ان اشبيلية لها كور جليلة ومدن كثيرة وحصون
شريفة وهي من الكور المجندة نزلها جند حمص ولواؤهم في الميمنة بعد لواء جند دمشق وانتهت اقاليم اشبيلية
ايام الحكم بن هشام خمسة وثلاثون الف دينار ومائة دينار وفي اقليم طالقة من اقاليم اشبيلية وجدت صورة
جارية من مرمر بها صبي وكانت حية تريد لم يسمع في الاخبار ولا رئي في الآثار صورة ابدع منها جعلت في بعض الحمامات
وتعشقها جماعة من العوام وفي كورة ماردة حصن شنت افرج في غاية الارتفاع لا يعلوه طائر البتة لا نسر
ولا غيره ومن عجائب الاندلس البلاط الاوسط من مسجد جامع اقليش فان طول كل جائزة منه مائة شبر
واحد عشر شبرا وهي مربعة مخروطة مستوية الاطراف وقال بعض من وصف اشبيلية انها مدينة عامرة
على ضفة النهر الكبير المعروف بنهر قرطبة وعليه جسر مربوط بالسفن وبها اسواق قائمة وتجارات رابحة واهلها
ذوو اموال عظيمة واكثر متاجرهم الزيت وهو يشتمل على كثير من اقليم الشرف واقليم الشرف على تل عال من تراب احمر
مسافته اربعون ميلا في مثلها يمشي بها السائر في ظل الزيتون والتين ولها فيما ذكر بعض الناس قرى كثيرة وكل قرية
عامرة بالاسواق والديار الحسنة والحمامات وغيرها من المرافق وقال صاحب مناهج الفكر عند ذكر اشبيلية
وهذه المدينة من احسن مدن الدنيا وباهلها يضرب المثل في الخلاعة وانتهاز فرصة الزمان الساعة بعد الساعة
ويعينهم على ذلك واديها الفرج ونادرها البهج وهذا الوادي ياتيها من قرطبة ويحمل في كل يوم ولها جبل الشرف
وهو تراب احمر طوله من الشمال الى الجنوب اربعون ميلا وعرضه من المشرق الى المغرب اثنا عشر ميلا ويشتمل على
مائتين وعشرين قرية قد التحفت باشجار الزيتون واشتملت انتهى ولكورة باجة من الكور الغربية التي كانت
من اعمال اشبيلية ايام بني عباد خاصية في دباغة الاديم وصناعة الكتان وفيها معدن فضة وبها ولد المعتمد بن عباد
وهي متصلة بكورة ماردة وجبل طارق تجوز قصب السبق بنسبته الى طارق مولى موسى بن نصير اذ كان اول داخل
برسم المسلمين من بلاد الاندلس عند الفتح ولذا يشتهر بجبل الفتح وهو مقابل الجزيرة الخضراء وقد جوزها الحصن مالك
سند بن راحتي صار مكان هذا الجبل الناظر للجزيرة الخضراء وفيه يقول مطرف شاعر غرناطة شعر
واود قد القى على البحر منه ∴ فاصبح عن قول الجبال بمعزل ∴ يعرض نحو الافق وجها كانما ∴ تراقب عيناه كواكب منزل
واذا اقبل عليه المسافر من جهة سبتة في البحر بان كانه سرج قال ابو الحسن ابن موسى بن سعيد ابلت عليه
مرة مع والدي فنظرنا اليه على تلك الصفة فقال لي اجز انظر الى جبل الفتح راكبا متن لج فقلت وقد تفتح كالافق
في شكل سرج واما جزيرة طريف فليست بجزيرة وانما سميت بذلك الجزيرة التي امامها في البحر مثل الجزيرة الخضراء
وطريف المنسوبة اليه بربري من موالي موسى بن نصير ويقال ان موسى بعثه قبل طارق في اربعمائة رجل فنزل
بهذه الجزيرة في رمضان في سنة احدى وتسعين وبعده دخل طارق فالله اعلم ومن اعظم كور الاندلس كورة — كورة طليطلة
طليطلة وهي من وسطة الاندلس وكانت دار مملكة بني ذي النون من ملوك الطوائف فكان ابتداء
ملكهم صدر المائة الخامسة وسماها قيصر باسمه برليطة وتاول ذلك انه فاخر فعربتها العرب وقالت طليطلة
وكانوا يسمونها وجهاتها في دولة بني امية بالثغر الادنى ويسمون سرقسطة وجهاتها بالثغر الاعلى وتسمى طليطلة
مدينة الاملاك لانها فيما يقال ملكها اثنان وسبعون لسانا ودخلها سليمان بن داود عليهما السلام وعيسى بن مريم
وذو القرنين وفيها وجد طارق مائدة سليمان وكانت من ذخائر اشبان ملك الروم الذي بنى اشبيلية اخذها من بيت
المقدس كامل وقومت هذه المائدة عند الوليد بن عبد الملك بمائة الف دينار وقيل انها كانت من زمرد اخضر
ويقال انها الآن برومة فالله اعلم بذلك ووجد طارق بطليطلة ذخائر عظيمة منها مائة وسبعون تاجا
من الدر والياقوت والاحجار النفيسة وايوان مملوء من اواني الذهب والفضة وهو كبير حتى قيل ان الخيل
تلعب فيه برماحها لوسعه وقد قيل ان اواني المائدة من الذهب وصحافها من اليشم والجزع وذكر في
شانها غير هذا مما لا يكاد يصدقه الناظر فيه فالله اعلم وبطليطلة بساتين محدقة وانهار مخترقة ورياض وجنات
وفواكه حسان مختلفة الطعوم والالوان ولها من جميع جهاتها اقاليم رفيعة ورساتيق مريعة وضياع بديعة وقلاع
منيعة وبالجملة فمحاسنها كثيرة ولعلنا نلم ببعض منتزهاتها فيما ياتي من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وطليطلة — ذكر القنطرة
قاعدة ملك القوطيين وهي مطلة على نهر تاجه وعليه كانت القنطرة التي يعجز الواصفون عن وصفها وكانت على
قوس تكنفه فرجتان من كل جانب وطول القنطرة ثلاثمائة باع وعرضها ثمانون باعا وخربت ايام الامير محمد

Copyright King Saud University